



خطبة صلاة الجمعة 2025/7/18 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيِّ اجتهابه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: 64]

أخرج الإمام الترمذي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طُوبَى لِلشَّامِ» قُلْنَا: لِأَيِّ شَيْءٍ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لِأَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا».

عنوان خطبة اليوم: كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ

أيها الإخوة:

ما شهدته الشام الأيام السالفات لا جديد فيه على عادة اليهود والمنافقين؛ فاليهود هم اليهود أهلُ غدر وفساد، وبغي وإفساد، قتلة الأنبياء، وتجارُ الفتن، ومحترفو الجريمة والرذيلة.

والمنافقون هم المنافقون ﴿إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْرَجُونَ﴾،

وسيطه الله ما يحذرون.

إنه الغدر من اليهود، والخيانة من المنافقين حين يستعينون بالصهاينة المجرمين.

وها هنا كلماتٌ ينبغي بيانها من على منبر الجمعة:

أولاً: عدوُّنا الأول الكيان الصهيوني المجرم سارق الأرض، ناهبُ الخيرات، المعتدي على أرواح المسلمين وأعراضهم وأرضهم في فلسطين، والناظرُ إلى أطماعه في سائر بلاد المسلمين.

إن طالَت الأيام أو قَصُرَت فبيننا وبينهم اللقاء، فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعةُ حتى يقاتلَ المسلمون اليهودَ، فيقتلهم المسلمون، حتى يخْتَبِئَ اليهوديُّ من وراء الحجر والشجرِ، فيقول الحجرُ أو الشجرُ: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهوديٌّ خلفي، تعال فاقْتله، إلا العرَقَدَ، فإنَّه من شجر اليهود.»

ثانياً: من استعان بأعداء بلده على أبناء بلده خائنٌ في كل الأديان والأعراف والتشريعات، ومن أنزل علم بلده ليرفع علم عدوه خائن، ومن طالب بتقسيم البلاد خائن، ومن عمل لصالح أعداء البلاد من الكفرة الفجرة خائن، و (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ).

ويجاسب الخائنَ الحاكم والقانونُ لا أفرادُ الناس المتحمسون لكيلا يصير الأمرُ فوضى.

ثالثاً: الفتنة الطائفية مكيدة أعداء البلاد بالبلاد يُفْتَتُونَ بها البلد ويجلسون لينظروا كيف يتقاتل أبناؤه ويتناحرون، وكلما هدأت أضرموها لها ناراً جديدة.

كتب المستشرق الصهيوني (برنارد لويس) في مجلة البنتاغون -مجلة وزارة الدفاع الأميركية- داعياً إلى مزيد من التفتيت للعالم الإسلامي من باكستان إلى المغرب على أسس دينية وقومية ومذهبية، ... ودعا إلى تقسيم العراق إلى ثلاث دول كردية وسنية وشيعية، وتقسيم السودان إلى دولتين زنجية وعربية، وتقسيم لبنان إلى خمس دويلات مسيحية وشيعية وسنية ودرزية وعلوية، وتقسيم مصر إلى دولتين إسلامية وقبطية، وتقسيم سورية إلى أربع دول كردية ودرزية وسنية وعلوية، وكذلك بقية أنحاء العالم الإسلامي، وذلك ليصبح برحاً ورقياً ومجتمعات فسيفسائية مجتمعات الموزاييك، ثم قال:

"ويرى الإسرائيليون أن جميع هذه الكيانات ستكون أضعف من إسرائيل، وستضمن إسرائيل تفوقها لمدة نصف قرن على الأقل".

وفي عام 1954 تحدث (ديفيد بن غوريون) -أول رئيس وزراء للكيان الصهيوني- عن ضرورة تثبيت وتقوية الميول الانعزالية للأقليات في العالم العربي، وتحريك هذه الأقليات لتدمير المجتمعات المستقرة وإذكاء النار في مشاعر الأقليات في المنطقة وتوجيهها نحو المطالبة بالاستقلال والتحرر من الاضطهاد الإسلامي.

رابعاً: أكرم الله الشام بفتح لا ثار فيه، وقد ارتضى أهلها رئيساً ذكياً شجاعاً شفوفاً عليهم وحكومةً تمثلهم، وجيشاً من أبنائها، ورجال أمنٍ من شبابها.

وإنما تقوم الدولة على النظام والقانون والانضباط والسمع والطاعة، ولئن اشتعلت الحمية في قلب أحدنا أو غلّت النخوة في صدره فإنّ هذا شيء محمود، ولكن ينبغي له ألا ينسى أن للبلاد قائداً نصدر عن قوله وحكومةً نرجع إليها فنقول بقولها ونعمل من ورائها.

لما صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً صلح الحديبية حدثت في معسكر المسلمين دهشة عامة للطريقة التي سلكها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أوليائه ومع أعدائه.

فأمّا مع أعدائه، فقد ذهب في مُلايبتهم إلى حدود بعيدة، وأولى به أن يقسو عليهم.

وأما مع أصحابه -فإنّه على غير ما ألقوا منه- لم يستشرهم في هذا الاتفاق المقترح.

قال الزهري: فلما التأم الأمر، ولم يبق إلا الكتاب، وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر! أليس برسول الله؟ قال: بلى. قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى. قال: أوليسوا بالمشركين! قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟!

قال أبو بكر: يا عمر! الزم عزه -أمره- فإنّي أشهد أنّ رسول الله. قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله! ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

ألسنت برسول الله! قال: «بلى». قال: أولسنا بالمسلمين! قال: «بلى». قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: «بلى». قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟!

قال: «أنا عبد الله ورسوله، ولن أخالف أمره، ولن يضيّعني».

إنّ الحمية للحق محمودة، وإنّ الاشتداد للدود عن البلاد والعباد مَرَضِيَّة إذا انتظمتا بطاعة وليّ الأمر وامتنال القانون.

خامساً: فقدت الشام زهوراً من أبنائها من رجال الأمن والجيش والمدنيين شهداء بإذن الله، نسأل الله تعالى لهم الرحمة وعلو الدرجة، وما أجمل أن يحيا العبد في سبيل الله وأن يموت في سبيل الله.

ونسأل الله أن ينزل على قلوب أهليهم الرضا والطمأنينة، وأن يعوضهم خيراً.

وأصيب من أبناء الشام بالجراح رجالٌ ونساء وأطفال، نسأل الله تعالى العافية لكل مصاب والشفاء لكل جريح.

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَضَمَّنَ اللهُ مَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ -لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَاداً فِي سَبِيلِي، وَإِيمَاناً بِي، وَتَصَدِيقاً بِرَسُولِي- فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَاتِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ

محمد بيده، ما مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمٍ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ رِيحُ مَسْكِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنْ أَغْزَوْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزَوْ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزَوْ فَأُقْتَلَ».

سادساً: الشام موعودة بالخير من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كره الكافرون.

أخرج ابن عساکر في تاريخه عن عبد الله بن حوالة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَمُودًا أبيضَ كأنه لؤلؤةٌ تحمله الملائكة، فقلتُ: ما تحملون؟ فقالوا: عمود الإسلام، أمرنا أن نضعه بالشام. وبينا أنا نائمٌ رأيتُ عمودَ الكتابِ اختلسَ من تحتِ وسادتي، فظننتُ أن الله قد تخلّى من أهل الأرض، فاتبعته بصري، وإذا هو نورٌ ساطعٌ بين يدي حتى وضع بالشام». فقال ابن حوالة: يا رسول الله، خز لي، فقال: «علبك بالشام».

وعن كعب رضي الله عنه أنه كان يقول: (يا أهل الشام، إنَّ الناس يريدون أن يضعوكم، والله يرفعكم، وإنَّ الله يتعاهدكم كما يتعاهد الرجل نبله في كينانته؛ لأنَّها أحبُّ أرضه إليه، يسكنها أحبُّ خلقه إليه، من دخلها مرحوم، ومن خرج منها فهو مغبون).

أيها الإخوة:

جاء في تفسير المنار: ((كَلِمًا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ)) الحرب ضد السلم، وليس مرادفاً للقتال، بل أعمّ... فهو يصدق بالإخلال بالأمن، والنهب والسلب، ولو بغير قتل، ويصدق بتهييج الفتن، والإغراء بالقتال.

والمراد أن الله تعالى يخذلهم في كل ما يكيدون به لرسوله وللمؤمنين الصادقين، فإما أن يحييوا، ولا يتم لهم ما يسعون إليه من الإغراء والتحريض، وإما أن ينصر الله رسوله والمؤمنين.

وفي السيرة النبوية أن اليهود كانوا يُغرون المشركين بالنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وكان منهم من سعى لتحريض الروم على غزوهم، ومنهم من كان يقطع الطريق على المؤمنين، ويؤوي أعداءهم ويساعدهم.

«وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» أي إنهم لم يكونوا فيما يأتونه من عداوة النبي والمؤمنين، وإيقاد نيران الحرب والفتن والقتال، مصلحين للأخلاق والأعمال، أو لشؤون الاجتماع وال عمران، بل كانوا يسعون في الأرض سعي فساد، أو لأجل الفساد، حسداً لهم، وحباً في دوام امتيازهم عليهم، والله لا يحب المفسدين في الأرض، فلا يصلح عملهم، ولا يُنجز سعيهم؛ لأنهم مضادون لحكمته في صلاح الناس و عمران البلاد).

أيها الإخوة:

بإيماننا العميق، والتزامنا بشرع الله الحنيف، ووحدة صفنا، وشدة وعيننا نذود عن بلادنا ونعيد مجدها
التليد.

والحمد لله رب العالمين